# تجلّي المديح النبوي في منظومات النّودهي العلمية (منظومة عمل الصّياغة أنموذجا)

هادي رضوان

hrezwan@uok.ac.ir

أستاذ مشارك في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة كردستان-سنندج

**تأريخ أستلام البحث:2024/3/1** **تأريخ موافقة النشر:2024/5/7**

**الملخص:**

يُعدّ الشّيخ معروف النّودهي البرزنجي من العلماء البارزين والأدباء النّابهين في القرنين الثاني عشر والثالث عشر للهجرة، فإنّه كرّس جهوده لمدة ثمانين عاماً للتدريس والتّأليف، واشتهر بمنظوماته العلميّة المفيدة في مختلف العلوم والفنون، ومن الجدير بالذّكر أنّه صرّح في بعض منظوماته بأنّ مذهبه نظمُ العلوم، كما اشتهر بتخاميسه الأدبية الرّائعة التي أكثرها في المديح النّبوي وهو -كما يقول بعض الباحثين- في تخاميسه أقوى منه في أشعاره بما أنّه في الأوّل مُجيد واسع الخيال وفي الثّاني مقلّد وتابع؛ ومهما يكن من أمر فلم يبالغ مَن سَمّى النّودهيَ بوصيريَّ الكُرد.

ومن الجدير بالملاحظة أن النّودهي لم يغفل عن المديح النّبوي في منظوماته العلمية، فإنَّ كثيرا من المُثُل فيها مديحٌ نبوي في حدّ ذاته، على أنّ في مقدمات هذه المنظومات أيضاً أبياتاً سامية في المديح النّبوي، فشاعريّة النّودهي لم تتركه حتى في نظمه العلمي الذي من المنتظَر عادةً أن يكون بعيداً عن الخيال والعاطفة والإحساس اللّطيف.

ومن هذه المنظومات، منظومة "عمل الصّياغة" في علم البلاغة، التي نظم فيها النّودهي كتاب "تحرير البلاغة" للعلّامة محمد بن آدم البالكي، فكثير من الأمثلة في هذه المنظومة مديح نبوي دالٌّ على صدق عاطفة النودهي وصفاء قريحته وقوّة ملكته في هذا الفن.

يبحث هذا المقال عن المضامين المتعلّقة بالمديح النّبوي والمنتمية إليه في منظومة عمل الصّياغة، فإنّ كثيراً من أمثلة هذه المنظومة من بنات فكر النّودهي، وهذا العمل يذكّرنا بما فعله العلّامة البيتوشي في منظومة "كفاية المعاني" ولا غروَ، فإنّ النّودهي استقى من مَعينه الأدبي واستفاد من أسلوبه في النظم والتأليف.

**الكلمات الدّليلية**: الشعر التعليمي، المديح النّبوي، النّودهي، منظومة عمل الصّياغة.

**مقدمة:**

إنَّ المديح النبوي فن أدبي متميّز من فنون الأدب الإسلامي، وهو لون من التعبير عن العواطف الدينية وباب من الأدب الرفيع، لأنّه لا يصدر إلا عن قلوب مفعمة بالصدق والإخلاص.

وفي المديح النبوي تنعكس السيرة النبوية بكل جوانبها، كما تتجلى شخصية الرسول صلّى الله عليه وسلم، كسيد البشر وأفضل الخلق خِلقة وخُلُقاً. وشاعر المديح النبوي صادق في بيان مشاعره والإبانة عن أحاسيسه لا تشوب مدحه شائبة كذب ولا رياء، بل شعره كلُّه بيان علو مرتبة النبوة والحديث عن حبّ النبي صلّى الله عليه وسلم، وطلب الرحمة المقرونة بالتعظيم له ودعاء نيل شفاعته.

ويرجع تاريخ هذا النوع الأدبي إلى عصر الدعوة النبوية وشعراء الصحابة كحسّان بن ثابت وكعب بن مالك وكعب بن زهير وعبد الهه بن رواحة، واستمرّ هذا في سائر العصور الأدبية حتى وصل إلى محمد بن سعيد البوصيري في القرن السابع الهجري، فهو من أهم شعراء المديح النبوي وله مدائح متعددة من أشهرها البردة والهمزية. ولم يتوقف المديح النبوي عند

البوصيري، بل عورض كثير من قصائده من قِبَل الكثير من الشعراء إلى عصرنا هذا، إضافة على التخاميس والتسابيع والتشاطير على أشهر قصائده وعلاوة على قصائد كثيرة مستقلة في هذا المجال.

ولم ينحصر المديح النبوي في الشعر العربي ولا في الشاعر العربي، بل توجد مدائح عربية كثيرة لشعراء سائر الشعوب المنتمية إلى الملّة الإسلامية، كما توجد مدائح غير عربية كثيرة أيضاً لهؤلاء الشعراء ومنهم العالم الموسوعي والشاعر المفلق الشيخ معروف بن مصطفى النودهي البرزنجي الذي لم نبالغ إن سمّيناه شاعر المديح النبوي في العصور المتأخرة. فهو لا يمدح النبي صلّى الله عليه وسلّم، من خلال قصائده المستقلّة وتخاميسه وتسابيعه وتشاطيره فحسب، بل يوجد في منظوماته العلميةكثير من المديح النبوي في ضمن أبيات ومصاريع وعبارات قصيرة، مما يدلّ على صدق عاطفة هذا الشاعر ورقّة وجدانه وصفاء قريحته في هذا الفن الأدبي.

والباحث في هذا المقال يتحدث عن المديح النبوي في منظومة عمل الصياغة، متّبعاً المنهج الوصفي-التحليلي، وهو يسعى في أن يجيب عن هذين السؤالين:

1 – كيف يتجلى المديح النبوي في منظومة عمل الصياغة؟

2 – ما هي المضامين التي يتحدث عنها النودهي في مقام المديح النبوي في هذه المنظومة؟

**1 – نبذة عن حياة النودهي[1]**

هو السيد محمد الشهير بالمعروف بن السيد مصطفى بن السيد أحمد بن السيد محمد الشهير بالكبريت الأحمر وجدّه الثالث عشر هو السيد عيسى البرزنجي ابن السيد بابا علي الهمداني[2].

ولد النودهي سنة 1166ه. وتربى في بيت علم ودين وقرأ القرآن الكريم وبعض الرسائل الفارسية وشيئاً من النحو والصرف والفقه وبعد إكمال المرحلة الأولى من الدراسة وهي مبادئ القراءة والكتابة حمله والده إلى مدينة قلعة جوالان مركز الإمارة البابانية وأدخله المدرسة الغزائية[3] وبعد مدة سافر إلى مدرسة الملا محمد الشهير بابن الحاج في قرية هزار مرد غربي مدينة السليمانية[4] وفي سنة 1180هـ. عاد العلّامة الشيخ عبد الله البيتوشي من الأحساء إلى بيتوش التابعة لأمارة بابان وذهب بعد مدة إلى قرية هزار مرد لزيارة أستاذه ابن الحاج وبقي هناك أياماً قليلة اتصل به النودهي فيها اتصال اللازم البين بالمعنى الأخص بملزومه أو اتصال الظلّ بالشاخص... فقرأ عليه بعض رسائله الأدبية وقصائده البليغة وأخذ منه إلهام الشعر ووحيَ الأدب ووجّهه في تلك الفترة القصيرة توجيهاً أدبياً صحيحاً وحرّك فيه عاطفة الشعر وملكة القريض واقترح عليه أن يشتغل بنظم المتون[5]. وإلى هذا أشار النودهي في آخر نظم العوامل حيث قال:

أُلّفَ بالتماسِ عبد اللهِ  لا زالَ ذا فضيلةٍ وجاهِ[6]

وبعد أن أمضى أربعَ سنوات في مدرسة ابن الحاج، وانتفع في تلك الحقبة بعلمه وأدبه، رجع إلى قلعة جوالان واستقرّ في مدرسة العلّامة الغزائي المشهور وهناك درس عليه شيئاً من الفقه.

---

[1] – لترجمة النودهي ينظر: الشيخ معروف النودهي البرزنجي، محمد الخال، طبع بمساعدة المجمع العلمي العراقي، دارمطبعة التمدن، بغداد،1961 و الأعمال الكاملة للشيخ معروف النودهي، القسم الأول، المجموعة الأدبية الدينية، مطبعة العاني، بغداد، 1984 وعلماؤنا في خدمة العلم والدين، عبد الكريم المدرس، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1982 والأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، 1969 ومعجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1993 ومعجم المؤلفين العراقيين في القرنين التاسع عشر والعشرين، كوركيس عواد، مطبعة الإرشاد، 1969.

[2] – الشيخ معروف النودهي البرزنجي، محمد الخال، ص69.

[3] – نفس المصدر، ص80.

[4] – نفس المصدر.

[5] – نفس المصدر، ص 81.

[6] – نفس المصدر، ص 82.

هذا غاية تحصيل النودهي من شيوخه، ثم انفرد بالدرس فما زال مكبّاً على التدقيق والتحقيق ومطالعة الكتب حتى نبغ وأصبح عالماً جليلاً، وناظماً مُجيداً، وناثراً بارعاً وعيّن مدرساً في إحدى المدارس بقلعة جوالان وكان له القبول عند أمراء بابان ورجال الدولة، فاشتغل بالتدريس والتأليف ونشر العلوم وقرض الشعر ونظم المتون. وبقي في قلعة جوالان إلى أن شرع ابراهيم باشا ابن أحمد باشا في بناء مدينة السليمانية سنة 1199هـ وأتمها سنة 1200هـ ونقل مركز الأمارة من قلعة جوالان إلى السليمانية، فنصب الشيخ معروف النودهي مدرساً بالجامع الكبير[1].

توفّي النودهي بمدينة السليمانية عام 1254هـ ودفن بمقبرة سيوان بجوار قبة سليمان باشا بابان[2].

**2 – علم النودهي وأدبه**

كان النودهي أديباً طويل الباع في الفنون اليأدبية مع طول الباع في المعقول والمنقول وعلمي الفروع والأصول وعالماً جامعاً ومدرساً ماهراً وكانت له –مع ثقافته العربية- مادة خصبة في الثقافتين الفارسية والكردية وكان منقطعاً عن الناس لا يعاشر الحكام والأمراء، مكرساً جهوده للتدريس والتأليف ونظم المتون المشهورة وتخميس القصائد المعروفة، فكانت أوقاته كلها مصروفة في خدمة العلم والأدب وتأليف الكتب ولم يثنه عن أداء رسالته ما كان يقاسيه من شظف العيش واضطراب البال وتبلبل الأحوال[3].

ألف في فروع مختلفة من العلوم، كالنحو والصرف والمعاني والبيان والبديع والوضع وآداب البحث والمناظرة والفقه والحديث وأصولهما والعقائد والعروض والقوافي والفرائض، هذا ماعدا تخاميسه البليغة للقصائد المشهورة كقصيدة البردة والهمزية والمضرية للبوصيري وبانت سعاد للكعب بن زهير ولامية العجم للطغرائي و يا من رأى و أأنعم عيشاً المنسوبتين إلى الإمام الشافعي رضي الله عنه، وعدا تشاطير وتسابيع لقصائد أخرى. وقد ترك آثاراً قيّمة من الشعر والنثر بالعربية والفارسية ومتوناً وشروحاً ومنظومات علمية تزيد على ستين مؤلّفاً كلها آية في السلاسة والبلاغة تجعله بحق من العلماء البارزين في خدمة العلم والأدب[4].

وقد وصف السيد بابا رسول البرزنجي (تلميذه) مكانته العلمية وأعطانا صورة واضحة عنه حيث يقول –وهو من أعرف **الناس به-:** كان (أي: النودهي) بارعاً في علم المعاني والبديع والبيان، حافظاً للأحاديث والدلائل والقرآن، مجوّداً له حتى أنّ الناس يجيئون من الأرجاء لتعلم قراءة القرآن عنده، ذا مخرج فصيح وقلب شريح، حافظاً للنشر وقراءة العشر للنووي، خبيراً للاختلاف بين القراء، مفسراً للقرآن، ما من آية إلا ولها شأن عظيم من التفسير عنده، محدّثاً ما من حديث إلا وعنده جودة معنى، له اليد الطولى في النحو والصرف مجتهداً فيهما كابن الحاجب وابن مالك، حتى إني رأيته بماضيه درس المقامات للحريري والأطباق للزمخشري والأطواق للبيضاوي ارتجالاً بلا مراجعة كتب اللغة، جيّد الخط حتى أنه كان يكتب بأي قلم شاء في العربية، ناظماً في الأبحر العروضية في العربية والفارسية والكردية، مقتدراً بحيث أنَّ طبعه كالجواد له إذا حوّله إلى جهة فتحول، منطقياً كانوا يجيئون إليه للتجربة فدرسهم ذلك بلا مراجعة ومطالعة، متكلما على عقيدة الأشعرية، وكان له في النثر يد طولى حتى أنه كان يكتب المراسلات إلى مكة المعظمة والمدينة المنورة وإلى مصر وموصل وبغداد[5].

ويرى الشيخ محمد الخال أن رسائل النودهي ليست في مستوى رفيع من الأدب، يقول: للنودهي رسالة إلى أحد حكام كردستان وأخرى إلى داود باشا والي بغداد. من تأمل هاتين الرسالتين يراهما مقفرتين من الأساليب الناصعة وخاليتين من المعاني الجميلة والجمل البليغة ولا يرى فيهما إلا البساطة في الألفاظ والمعاني والسجع والقافية، غير أنهما تدلان على شيء آخر،

[1] – الشيخ معروف النودهي البرزنجي، محمد الخال، ص82.

[2] – نفس المصدر، ص 87.

[3] – نفس المصدر، ص 90.

[4] – نفس المصدر.

[5] – الأعمال الكاملة، القسم الأول، المجموعة الأدبية الدينية، ص 25–26.

وهو أنّ الشيخ النودهي كان من رجال الدعوة إلى الإصلاح واستنكار الفساد وكان لا يألو جهداً في ذلك حتى مع الوزراء والأمراء[1].

ويقول الخال عن أدب النودهي الشعري: ومن غريب أمر النودهي أنه في تخاميسه أقوى منه في أشعاره، فهو في الأول مُجيد إجادةً تشهد له بشدة الرسوخ وسعة الخيال والوقوف على معاني الشعر وأساليبه العربية، وأما في الثاني فلا، بل يتصور القارئ أنه لا يعرف إلا مدائح الرسول –صلى الله عليه وسلم- في أسلوب مبتذل ومعان اعتيادية. وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أنه ناظم أكثر منه شاعراً وتابع ومقلد أكثر منه متبوعاً ومبتكراً[2]. هذا وإنّه لم يصل إلينا مما أشار إليه تلميذ النودهي، السيد بابا رسول البرزنجي من الرسائل والمكاتبات إلا هاتين الرسالتين المذكورتين في عبارة الخال، ويرى الباحث أن رأي الخال بالنظر إليهما أقرب من الصواب من رأي تلميذ النودهي الذي يتحدث عن أستاذه تحت سيطرة عاطفة قوية. أما رأي الخال عن شاعرية النودهي فهو غير قريب من الصواب، فأي دليل أقوى من تلك التخاميس و التسابيع والتشاطير الجميلة على قوة شاعرية الرجل؟ غاية الأمر أنه أبان عن تلك القوة من خلال تلك الأعمال المبنية على آثار الشعراء المتقدمين، فهذه الأعمال تدلّ على قوة الملكة لا ضعفها، فالتقليد لا يكون دليلاً على عدم الإجادة وليس كل تجديد إجادة.

**3 – منظومة عمل الصياغة**

هذه المنظومة من أهم ما كتبه النودهي في علوم البلاغة والنودهي نظم تحت هذا العنوان كتاب تحرير البلاغة للعلامة محمد بن آدم البالكي، إلا أن النودهي لم يتم العمل، والمنظومة تشمل مسائل علم المعاني حتى نهاية مبحث الإيجاز والإطناب وتنتهي بهذا البيت:

يوصفُ بالإيجاز والإطناب  وربّنا أعلم بالصوابِ[3]

ولعله استغنى بما في سائر منظوماته في علمي البيان والبديع عن إتمام العمل في هذه المنظومة. ويبدو أن النودهي استدرك في هذه المنظومة على تحرير البلاغة لابن آدم، فقد ذكر ذلك في مقدمة المنظومة:

فهذه أرجوزةٌ منها ارتوى  واردُها أنظِم فيها ما حوى

كتابُ تحرير البلاغة الذي  سناهُ مشرقٌ وعَرفُه شذي

مؤلَّفُ العلّامة السميدعِ  بحرِ العلوم اللّوذعي الألمعي

نجم الهدى محمد بن آدما  فاضت عليه البركات دائما[4].....

اذكرُ فيها بعضَ ما قد أهمله  من بعضه أقولُ (قلتُ) أوّله

إن كملت فعمل الصياغة  هو اسمها يعنيك في البلاغة[5]

وكتاب تحرير البلاغة خلاصة كتاب تلخيص المفتاح للخطيب القزويني، وأراد ابن آدم أن يأتي بنص أكثر اختصاراً ليسهل حفظه على طالبي ذلك العلم كما كان دأب العلماء المدرّسين في تأليف المتون المختصرة. وابن آدم جاء بما جاء به القزويني في التلخيص في شدة الاختصار من دون أن يرجّح قولاً أو يضعّفه، وقد حذف الشواهد والأمثلة في أكثر المباحث. ومهما يكن من أمر فإنَّ شدة الاختصار في الكتاب قرّب كثيراً من العبارات من الألغاز، فالكتاب لا يناسب حال المبتدئين في علم البلاغة وربما كان هذا باعثاً لشرح المؤلف كتابه كما جاء في بعض التراجم. وعلاوة على تلك الاستدراكات التي أشرنا إليها،

[1] – الشيخ معروف النودهي البرزنجي، محمد الخال، ص194.

[2] – نفس المصدر، ص117.

[3] – الأعمال الكاملة، القسم الرابع، المجموعة البلاغية، ص191.

[4] – الأعمال الكاملة، القسم الرابع، المجموعة البلاغية ، ص8.

[5] – نفس المصدر، ص10.

فقد زاد النودهي كثيراً من الأمثلة، منها ما مدح النودهي فيه نبينا محمداً –صلّى الله عليه وسلّم- في قالب عبارة أو شطرٍ أو بيت.

**4 – تجلّي المديح النّبوي في منظومة عمل الصياغة**

بلغ حبّ النبي –صلّى الله عليه وسلّم- في قلب النودهي ذروته وإنّه لمس ذلك الحبّ بلحمه ودمه، حتى أنّه لم يستطع أن يغفل عنه في منظوماته العلمية، فإنّ كثيرا من الأمثلة فيها مديح نبوي في حد ذاته. على أن في مقدمات هذه المنظومات أيضاً أبياتاً سامية في المديح، فشاعرية النودهي لم تتركه حتى في نظمه العلمي الذي من المنتظر عادة أن يكون بعيداً عن الخيال والعاطفة والإحساس اللطيف.

والنودهي في ديباجة منظومة عمل الصياغة يشير إلى خيريّة ذات المصطفى – صلّى الله عليه وسلّم- ويصلّي عليه وعلى آله وصحبه صلوات دائمة حاكية عن ذلك الحب الصافي الصادق الذي نبع من قلبه وسيطر عليه:

باعثَ خير العالمين أحمدا  إليهمُ بالبيّناتِ والهدى

بفضله قد شهد الكتابُ  يقصرُ عن مديحه الإطنابُ

فاضت عليه صلواتُ اللهِ  في كلِّ لحظةٍ بلا تناهي

وآله أهلِ الكمال والشّرف  البارعينَ كلَّ آلٍ من سلف

وصحبهِ مناهلِ الفصاحة  معاقلِ النّجدةِ والسّماحة

ما لمع البارقُ في الظَّلامِ  وأضحكَ الرَّوضَ بكا الغمامِ[1]

ولا يخفى ما في هذه الأبيات من براعة الاستهلال وتأبيد الصلاة بالصيغة المخصوصة كما كان دأب الشعراء خصوصاً في العصور المتأخرة، فإنّه قيّد الصلاة على النبي –صلّى الله عليه وسلّم- بمدة دوام لمعان البرق في الظلام ومدة إضحاك الغمام الروضَ وهذان باقيان ما بقيت الدنيا.

ومن أهم ما مدح به النودهي الرسول –صلّى الله عليه وسلّم- كونه خير خلق الله كلهم، أو خير العالمين، أو خير البشر، فهذا المضمون تجلّى في كثير من شعره في المديح. هذا ما وصل إليه البوصيري في مديحه النبوي حينما قال:

فمبلغ العلم فيه أنّه بشرٌ  وأنّه خير خلق الله كلّهمِ[2]

ويكرّر النودهي هذا المعنى في منظومة عمل الصياغة كثيراً ولم نبالغ إذا قلنا إنّه المعنى الغالب في مديحه عموماً وفي مُثل هذه المنظومة على وجه الخصوص. فإنّ في ديباجة المنظومة يشير إلى أنّ الله –تبارك وتعالى- بعث خير العالمين إليهم:

باعثَ خير العالمين أحمدا  إليهمُ بالبيّنات والهدى[3]

ويشير في مبحث تعريف الإنشاء إلى أنّه خير الناس:

وحيثُ لا خارجَ نسبةٍ يُرى  فذاكَ إنشاءٌ كزُر خيرَ الورى[4]

[1] – الأعمال الكاملة، القسم الرابع، المجموعة البلاغية ، ص 6-7.

[2] – مجموعة أزهى القصائد، البردة، مطبعة الاستقامة، القاهرة، 1933، ص5.

[3] – الأعمال الكاملة، القسم الرابع، ص6.

[4] – نفس المصدر، ص27.

ويقول في مبحث أحوال الإسناد الخبري: إنّ رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم- خير من عبد اللهَ،يأتي بذلك في ضمن جملة ابتدائية كأنّه من البديهيات التي لا يشك فيها و لا تنكر:

إن يخلُ ذهناً عنهُ مَن تُخاطبُ  فتركُ تأكيدٍ عليكَ واجبُ

نحو رسولُ الله خيرُ مَن عَبد  تقولُه لمن كلامَك اعتقد[1]

ثمّ يكرّر المعنى مؤكّداً،لأنك إذا واجهت منكراً فيجب عليك تأكيد الكلام على حسب درجة ذلك الإنكار:

أو منكِراً فإنّما على حسب  إنكاره عليك توكيد وجب

تقولُ إنَّ الصطفى الأمينا  لخيرُ خلق الله أجمعينا

واللهِ إنَّه لمنهُم أكملُ  بالابتدائي يُسمّى الأولُ[2]

وفي مبحث تقديم المسند إليه لاشتماله على ما يوجب التشوق إلى الخبر، يصرّح بأن لا يوجدُ نظير لنبيّنا محمد –صلّى الله عليه وسلّم- في الشرف وأنّه خير الناس وهذا مما يشهد به نص القرآن الكريم، ومن المستحسن في هذا المقام أن تقدم المسند إليه لتشوق المخاطب إلى استماع ذلك الخبر الذي لا خبرَ أعلى منه شأناً ولا أرفع منه قدراً:

نحو الّذي في الكونِ ليس يوجدُ  نظيرُه في شرفٍ محمّدُ

إنَّ الذي نصُّ الكتاب يشهدُ  بأنّه خيرُ الورى محمّدُ[3]

ويكرر ذلك في مبحث أحوال المسند، فقد يترك المسند إذا كان الكلام جواباً لسؤال سائل، فإذا سأل سائل: من جاء بالسنة والكتاب؟ يكون الجواب: خير خلق الله:

يترك مسندٌ لما تقدّما  عند قرينةٍ بها قد عُلما

كأن يجابَ بكلامٍ ذُكرا  سؤالُ سائلٍ ولو مقدّرا

كخير خلق الله في جوابِ  مَن جاء بالسّنة والكتابِ[4]

وليس عند النودهي سيد للورى إلا المصطفى عليه الصلاة والسلام، ولهذا يصرّح بالموضوع في مبحث قصر الصفة على الموصوف قصراً حقيقياً:

والثاني منه نحو ليسَ للورى  سيّدٌ إلا أنتَ وهو أكثرا[5]

ويكون خير البشر صفة قائمة مقام الموصوف حينما يثبت الجراءة لأصحاب الرسول –صلّى الله عليه وسلم- بأسلوب القصر بطريق العطف:

ما أحدٌ من صحبِ خير البشرِ  يومَ الطعانِ بجبانٍ بل جَري[6]

[1] – نفس المصدر،ص30.

[2] – الأعمال الكاملة، القسم الرابع، المجموعة البلاغية ،ص31.

[3] – نفس المصدر، ص64.

[4] – نفس المصدر،ص85.

[5] – نفس المصدر، ص113.

[6] – نفس المصدر، ص116.

وفي مبحث مَن الاستفهامية يصرّح بأنّ محمداً –صلّى الله عليه وسلّم- رسول لم يخلق مثلُه في الأنام، فقد يجاب عن مَن الاستفهامية بكلّي لانحصاره في شخص معيّن:

...فقُل هو الله وقيل ربّما عنهُ بكلّي يجاب فُهِما

منه مشخّصٌ للانحصارِ فيه يقالُ مَن حبيبُ الباري؟

فقيلَ في جوابه رسولُ ما في الأنام مثلُه مجبولُ[1]

ولم يغفل النودهي عن جريان هذا المعنى في نفسه، فإنّه يعدّ نفسه مادحاً لخير البشر الذي كثر أشعاره في مدحه، وكأنّما صار خير البشر عَلماً له، يقول في مبحث حسن ترك الواو في الجملة الحالية:

وحَسُن التركُ لحرف دخلا مبتدأً كما أقول مثلا

كثُر أشعاريَ في خير البشر كأنّما هنَّ فرائدُ الدُّرَر[2]

هذا والرسول محمّد –صلّى الله عليه وسلّم- هو المصطفي وهو الحبيب، كما يقول في مبحث تخصيص المسند بالمسند إليه:

إنَّ حبيب بارئِ الأنامِ هو النّبيُّ المصطفى التهامي[3]

وكما يقول في مبحث التذييل الجاري مجرى المثل:

وزهق الباطلُ والفسوقُ بالمصطفى فالباطلُ زَهوقُ[4]

ومن المضامين المتعلقة بالمديح النبوي في هذه المنظومة، شوق النودهي المتزايد إلى زيارة الرسول –صلّى الله عليه وسلّم- الذي يدل على أنّ هذا لم يغب عن ذهن النودهي وقلبه لحظة، فهو دائم الحنين للوصول إلى هذا المرام، يغتنم أدنى فرصة للبوح به من خلال المثل البلاغية في المباحث المختلفة من المنظومة. فزيارة النبي –صلّى الله عليه وسلّم- هو الباعث عن حطّ الذنوب، كما يقول في مقدمة المنظومة في مقام البحث عن ضعف التأليف:

فالضعفُ مثلُ ما أقول مُنشدا قدِ اصطفى إلهُه محمّدا

قلتُ وهذا والّذي قد ماثلَه ليسَ بضعفٍ إنّما المثالُ له

إذا أتوا ضريحَه الزّوارُ حطّت لديهِ عنهُمُ الأوزارُ[5]

ومن قدّر الله له هذه الزيارة، فإنّه يكون سعيداً قد نال كلَّ مقصد. يقول النودهي في مبحث إفادة تقديم المفعول التخصيص فقط:

ونحو أمّا رجلاً زارَ النّبي فقد حباهُ الله كلَّ مأربِ[6]

ولهذا يتمنى الفوز بهذه الزيارة في مبحث الإنشاء:

---

[1] – الأعمال الكاملة، القسم الرابع، المجموعة البلاغية، ص133.

[2] – نفس المصدر، ص169.

[3] – نفس المصدر، ص63.

[4] – نفس المصدر، ص184.

[5] – نفس المصدر، ص14.

[6] – الأعمال الكاملة، القسم الرابع، المجموعة البلاغية، ص109.

لو أنّني زائرُ مرقدِ النّبي  هل أنا فائزٌ بهذا المطلبِ[1]

ولا يكتفي النودهي بذلك، بل يحبّ أن يرتحل ولده لطيبة لزيارة الرسول –صلّى الله عليه وسلّم- ويهتم بهذا الطلب اهتماماً شديداً ويجعل المضمون مثالاً للإتيان بالاسم بعد هل الاستفهامية الذي هو من دأب البلغاء:

فليس من غيرِ البليغِ يجمُلُ  هل ولدي لطيبةَ مُرتحِلُ[2]

ويكرّر هذا الموضوع ويظهر عن قلقه وشوقه إلى الزيارة في مبحثي كمال الانقطاع والاستئناف، فيقول:

أما كمال الانقطاع لو يُرى  فلاختلاف الجملتين خبرا

وضدَّه في اللفظ والمعنى معا  كأتوا نزورُ من إلى الله دعا[3]

وساق البيت مع الموازنة مع سائر الأمثلة الموجودة في المنظومة يدلان على أنّ المراد ممن دعا إلى الله هو النبي، والله أعلم.

**ويقول:**

...في مذهبٍ وقولُنا يُزارُ  ضريحُ سيّد الورى أبرارُ

أقلقهم شوقٌ إلى الزوارِ  فاقتحموا لأجله البراري[4]

وممّا أشار إليه النودهي في هذه المنظومة اشتياقه إلى رؤيا الرسول –صلّى الله عليه وسلّم- في المنام، فإنّ ذلك يسرّه، كما يقول في مبحث المجاز العقلي:

وطرفا المجاز كلمتانِ  حقيقتان لغويّتانِ

كسرّني رؤيا جمال نبوي  كذا كلاهما مجاز لغوي[5]...

فالمرجّح في قوله: رؤيا جمال نبوي، أن يكون المراد منه الرسول صلّى الله عليه وسلّم، وإن كان القول منكّراً، ويقوّي الادعاء ما ذكره النودهي في مواضع أخرى من المنظومة من رجاء رؤية ذلك الجمال والله أعلم.

**ويقول:**

كربحتْ تجارةُ الأبرار  وسَرَّ قلبي رؤيةُ المختار[6]

[1] – نفس المصدر، ص124.
[2] – نفس المصدر، ص131.
[3] – نفس المصدر، ص146.
[4] – نفس المصدر، ص153.
[5] – نفس المصدر، ص38.
[6] – الأعمال الكاملة، القسم الرابع، المجموعة البلاغية، ص41.

هذا والنّبي –صلّى الله عليه وسلّم- ملاذه و شفيعه وسنده ومنه مدده:

أو لتبرّكٍ أو استلذاذِ كقولنا محمّدٌ ملاذي[1]

تأخيره لأنَّ ذكر المسندِ لهُ أهمُّ كالنّبي سنَدي[2]

تقديمُه لجعلِهِ بالمسندِ لهُ مخصّصاً كمنكَ مَددي[3]

يؤتى النّبيُّ للشفاعاتِ غدا من ماتَ مؤمناً بهِ موحّدا[4]

ونور محمّد أضاء العالم قبل أن يضيئه النّيّران، يقول مبحث تقديم المسند للتشويق إلى استماع المسند إليه:

ثلاثةٌ بها الموجود مسفِرُ محمُدٌ والشّمسُ ثمَّ القمرُ[5]

ويقول في مبحث عطف أمور لشَبهِ التّماثل:

بأن يلوحَ شبَهُ التّماثلِ بينَ تصوّريهما للقائلِ

مِن أجلِ هذا كان جمعي حَسنا بينَ أمورٍ قد ذكرتُها هنا

ثلاثةٌ بها الوجودُ مسفِرُ محمّدٌ والشّمسُ ثم القمرُ[6]

**5 – خاتمة البحث**

لا ينحصر المديح النّبوي عند النودهي في قصائده المشهورة ولا في تخاميسه وتشاطيره و تسابيعه، بل نرى أنّ الحبّ المتزايد سيطر على قلبه ولبّه وخياله، حتى صار في منظوماته العلمية أيضاً مادحاً لنبيّه المصطفى.فإنّه في منظومة عمل الصياغة على سبيل المثال يمدح الرسول –صلّى الله عليه وسلّم- كلّما سنحت له فرصة من خلال المثل البلاغية وفي ضمن عبارات وأبيات صادقة لطيفة نابعة من قلبِ شاعر صبّ لا قدرة له على كتم حبّه، فيجري على لسانه ما دار في خلده وملأ قلبه في نهاية البساطة والجلاء. ومن أكثر المضامين تكراراً في هذه المدائح التصريح بكون النّبي –صلّى الله عليه وسلّم- خير العالمين واشتياق الشاعر إلى زيارته وحبّه رؤياه في المنام ورجاؤه نيل شفاعته.

وفي نهاية هذا المطاف نأتي للباحثين والدارسين في مجال المدائح النبوية وجمالياتها بهذه المقترحات والتوصيات:

أ) يوجد في تراثنا كثير من المنظومات العلمية في العلوم والفنون المختلفة ترى فيها هذه الميزة بوضوح، فإنَّ أصحابها في خلال البحث عن موضوع العلم أو الفنّ وبمناسبات مختلفة أبدوا بحبهم الصادق لنبيّهم المصطفى –صلى الله عليه وسلم- وأظهروا أحاسيسهم اللطيفة وعواطفهم الحارّة في قالب شعر أدبي جميل جديرٍ بالبحث والتحقيق.

ب) للنودهي منظومات متنوعة في سائر العلوم يوجد فيها مديح نبوي قريب مما رأيناه في هذه المنظومة، ولهذا النوع من المديح أهمّية أدبية وبلاغية بالغة جعلته لائقاً بالبحث والدراسة.

---

[1] – نفس المصدر، ص49.

[2] – نفس المصدر، ص98.

[3] – نفس المصدر.

[4] – نفس المصدر، ص85.

[5] – نفس المصدر، ص99.

[6] – نفس المصدر، ص158.

ج) الشيخ معروف النودهي شاعر المديح النبوي، وكثير من مدائحه لم يدرس بعدُ من النواحي البلاغية والجمالية والفنية وإلقاء الضوء على هذه المدائح النبوية المكتوبة باللغتين العربية والفارسية يفتح على الباحثين مجالاً واسعاً في الدراسات الأدبية المقارنة أيضاً.

**المصادر والمراجع**

البوصيري، محمد بن سعيد بن حماد الصنهاجي(1933). قصيدة البردة ضمن مجموعة أزهى القصائد. القاهرة: مطبعة الاستقامة.

الخال، محمد(1961). الشيخ معروف النودهي البرزنجي، طبع بمساعدة المجمع العلمي العراقي. بغداد: دار مطبعة التمدن.

الزركلي، خير الدين(1969). الأعلام. بيروت: دار العلم للملايين.

عواد، كوركيس(1969). معجم المؤلفين العراقيين في القرنين التاسع عشر والعشرين. بغداد: مطبعة الإرشاد.

كحالة، عمر رضا(1993). معجم المؤلفين. بيروت: مؤسسة الرسالة.

المدرس، عبد الكريم(1982). علماؤنا في خدمة العلم والدين. بغداد: دار الحرية للطباعة.

النودهي، الشيخ محمد معروف بن مصطفى(1984). الأعمال الكاملة، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية. بغداد: مطبعة العاني.